جلال الدّين السّيوطي
إضاءات تحليليّة في سيرته

د.عبد الإله نبهان

جلال الدّين السّيوطي
إضاءات تحليليّة في سيرته

د.عبد الإله نبهان

جلال الدّين السّيوطي
إضاءات تحليليّة في سيرته

د.عبد الإله نبهان

وسمت هذا البحث بجلال الدين السيوطي: إضاءات تحليلية في سيرته، وكانت النية متجهة إلى إنشاء بحث بعنوان (السيوطي في الميزان) ولكنني رأيت العنوان الثاني أجدر بكتاب، فعدلت عنه إلى العنوان الأول، لا لأتحدث عن سيرة السيوطي، فهذا أمر نهض به السيوطي نفسه(1)، وكتبه عنه غيره(2)، كما أنه سبق لي أن كتبت في الموضوع المذكور وحمت حوله في أكثر من موضع(3)، ولكن لأتحدث عن أهم العوامل الموجهة لمسيرة السيوطي في سيرة حياته، بدءاً من طفولته ووفاة أبيه، وانتهاء بتصدره للتدريس والتصنيف وادعائه الاجتهاد وتجديد أمر الدين، ولأضع اليد على مفتاح هذه الشخصية التي شغلت وما زالت وستشغل بآثارها عشرات الباحثين، وقد نيل بتحقيق آثارها ودراستها عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه.

دُفعَ جلال الدين إلى طلب العلم منذ البدايات الأولى، فقد ذكر أنه عندما توفي والده كان له من العمر خمس سنين وسبعة أشهر، وكان قد وصل في حفظه القرآن الكريم إلى سورة التحريم(4)، وتولاه أصحاب أبيه، وهم من علماء العصر –بعنايتهم، فقد طلبه كمال الدين بن الهمام(5) بعد وفاة أبيه وقرره في وظيفة أبيه بالشيخوخة(6)، وكان والد السيوطي مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني، وهكذا تحدد مسار الفتى قبل أن يملك إرادة التوجه أو حرية الاختيار، وأسعفته في هذه السبيل ذاكرة قوية وحافظة نادرة، وهما ما يقوّي الثقة ويعززها بالنفس، ومما يُمنح صاحبها شعوراً بالتفوق على الآخرين، خاصة أن التحصيل آنذاك كان المعوّل فيه على الذاكرة، زد على ذلك أن الفتى طبع على الدأب والمثابرة، وأوتي جلداً وصبراً، فلم يتسلل الملل إلى نفسه، ولم تصرفه صوارف الحياة وشواغلها عما هو فيه.

وكان ذكر والده الشيخ أبي بكر، وما اتسم به من صلاح، وما ناله من مكانة، يتردد على أسماعه من شيوخه الذين هم أصدقاء أبيه أصلاً، وأخذت نفسه تمتلئ اعتزازاً بأبيه، وما عرفه عن صلته الوثيقة بالخليفة العباسي المستكفي بالله، أبي الربيع سليمان بن المتوكل(8)، وأنه –أي والده– كان إماماً للخليفة، وهو الذي كتب له نسخة العهد(9)، وللخلفاء العباسيين في القاهرة مكانة جليلة في نفس السيوطي(10)، فكانت مكانة والده التي ربما بالغ جلال الدين في تخيلها وتضخيمها وإسباغ الأهمية عليها هي القدوة المثلى للجلال، فاجتمع له بذلك من الاستعدادات الطبيعية والعناية التربوية والتسهيلات العلمية والاجتماعية والوظيفية مالا يجتمع لغيره إلا نادراً، وهي كلها عوامل ولدت عنده رغبات جامحة إلى التفوق، ولم يكن أمامه من مجال إلا العلم، تدريساً وتصنيفاً، لذلك رأيناه بعد أن حصّل أشياء من العلم، كحفظ بعض المتون الفقهية وما إليها، قد بدأ يجرّب قلمه في التأليف(11)، واستوعبت هذه التجربة حياته كلها وهو يصنف ويكتب، بحيث يمكننا أن نعدد أسماء كتبه ونقول: هذه سيرة حياته، لذلك نراه عندما كتب سيرته الموجزة في (حسن المحاضرة)، وسيرته المبسوطة في (التحدث بنعمة الله) يخصص الجزء الأكبر من السيرة لتعداد مؤلفاته، ويذكرها بتباهٍ وفخر، ويقول: هذا عدا ما غسلته ورجعت عنه. فالحياة عنده هي التصنيف في ضروب المعرفة التي أحاط بها خبراً، كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو والمعاني والبديع وما إليها مما يدور

في فلكها. وكان جلال الدين قد رسّخ العلوم الأساسية في ذهنه بحفظه للمتون التي تضبط أصول العلم على طريقتهم في ذلك العصر، (احفظ المتون تجمع لك الفنون)، فبعد أن ملأ صدره بالقرآن الكريم قام بحفظ عدة متون، فحفظ (عمدة الأحكام)(12) و(منهاج النووي)(13) و(ألفية ابن مالك) (14) و(منهاج البيضاوي)(15)، وقال: أنه عرض المتون الثلاثة الأولى عام (864هـ) على شيخ الإسلام، علم الدين البُلْقيني(16) وعلى شيخ الإسلام شرف الدين المُناوي(17)، وعلى قاضي القضاة، عز الدين الحنبلي(18)، وعلى شيخ الشيوخ، أمين الدين الأقصرائي(19).

وإني لا أستبعد أن يكون جلال الدين قد حفظ كل هذه المتون، فمن أتم حفظ القرآن في الثامنة كان على إتمام حفظ هذه المتون في الخامسة عشرة أقدر، ومن سار هذه السيرة المباركة في طلب العلم كان جديراً أن تتفتح أمامه سبله لا جهة ميسرة، ولاسيما أن عيوناً ترعاه، وقلوباً تحنو عليه، وإخواناً لوالده مازالوا على العهد، يأخذون بيده ويقيلون عثراته. وفي هذا العام نفسه (864هـ) أجيز جلال الدين بحفظ ألفية ابن مالك، وفي العام التالي قرأها قراءة دراية من أولها إلى آخرها على الشيخ محمد بن موسى الحنفي(20)، وأجيز بالإفتاء والتدريس عام(866هـ)(21)، وكان يحضر عدة مجالس علم في اليوم الواحد، ويقرأ على عدة شيوخ(22)، حتى ليخيل إلى الناظر في سيرته أن الرجل لا يكاد ينام، وخاصة أنه شرع يكتب مسودات لبعض التصانيف، فقد كتب شرحاً منثوراً للآجرومية، أتبعه بشرح منظوم، وشرح كتاب الجمل للزجاجي، ووضع شرحاً على الكافية الكبرى لابن مالك(23)... الخ، ثم غسل كل ذلك، فربما كان يجرب مقدرته على التصنيف ويدرب قلمه على التأليف، ولاشك أن همته كانت تمور بالمطامح ليكون مؤلفاً يذكره التاريخ في أعلام رجاله، وليكون في المستقبل حديث الكتب، كالشيوخ الذين يقرأ كتبهم. وتدل أسماء مؤلفاته التي غسلها(24) على توجهاته، وعلى الطريقة التي سيتبعها في التأليف، وهذه المؤلفات أنبأت أنه سيتجه اتجاهات علماء عصره، إلى وضع الحواشي، وإلى وضع المتن وشرحه، وإلى جمع الكتب وترتيب موادها، وإلى اختصار الكتب الكبيرة، وهكذا....

وتابع جلال الدين قراءة الفقه من شوال عام (865هـ)، ولزم دروس شيخه قاضي القضاة، علم الدين صالح البُلْقيني، وكان يقرأ من كل كتاب قسماً أو قطعة، والفقه هو العلم الذي يؤهل صاحبه للإفتاء والقضاء، ويمنحه امتيازاً في المجتمع، ولم يلبث جلال الدين، كما قدمنا، أن أجيز، وهو في السنة الثامنة عشرة من عمره، وتأهب لشغل منصبه مكان أبيه، مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني، ودعا شيخ الإسلام البُلْقيني ليحضر عنده في أول يوم تشريفاً، واحتفل جلال الدين بدرسه الأول احتفالاً كبيراً، وأعدّ له عدته، وكانت نفسه مفعمة بالرهبة من جلال الموقف، خاصة أن بعض الناس ممن حوله كذبوه لما أخبرهم بنيّة شيخ الإسلام حضور درسه، قال (فلم يصدق أكثر الحسدة)(25).. وذهب الجلال وزار مقام الإمام الشافعي(26)، وتوسل به ودعا ربه أن يأخذ بيده.

وفي يوم الثلاثاء، التاسع من ذي القعدة عام (867هـ) حضر شيخ الإسلام البُلْقيني، ومعه

نفر من الشيوخ، وجمهور من طلبة العلم، وأضاف السيوطي أن فيهم جمهوراً من الحسدة، ليشهدوا أول درس لجلال الدين... ولم يكد السيوطي لإنشاد خطبة أو تجهيز كلمة، بل وجد أن من أصلح الطرق وأرضاها لشيخ الإسلام ومن معه أن يفتتح درسه بخطبة اللإمام الشافعي التي صدّر بها كتابه العظيم "الرسالة"(27)، وهي خطبة اشتملت نفيس الكلام وبديع القول، وصيغت بأسلوب رائع وعبارة معجبة بليغة، فلا بدع أن كانت تحفظ وتفتتح بها الخطب والدروس، لذلك سار السيوطي على سنن شيخه البُلْقيني، الذي سار بدوره على سنن أبيه وأخيه في الافتتاح بها... ولم يحدثنا جلال الدين عن وقع درسه في نفوس الحاضرين، ويبدو أنه كان راضياً عما قدمه بين يدي شيخه، شيخ الإسلام.

ولم ينقطع جلال الدين عن نظامه الصارم في طلب العلم، وحضور مجالس الشيوخ، وكأن درسه الأول كان مجرد إشعار بكونه مجازاً، ثم تابع الطلب والاشتغال على نفر من علماء العصر، كقاضي طرسوس علاء الدين(28)، وشيخ الإسلام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن محمد المُناوي(29) قاضي القضاة، وسيف الدين محمد الحنفي(30). ولزم دروس الشيخ محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافِيَجي(31)، الحنفي الرومي، ولازمه أربعة عشر عاماً، أخذ عنه فيها الفنون قراءة وسماعاً من تفسير وحديث وأصول فقه وعربية ومعان، وسمع عليه (الكشاف) وحواشيه وكذلك المغني لابن هشام، واستفاد من شيخه كثيراً، قال: (ما دخلت إليه يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة(32)، وقد أجاز الكافِيَجي السيوطي بتدريس سائر الفنون وقرره مدرساً للحديث بالشيخوخة بعد وفاة الفخر المَقْسي(33).

كان الكافِيَجي المذكور من كبار علماء عصره بالمعقول، وحاول أن يدفع بمريده السيوطي في طريق علوم المعقول، فطلب منه أن يشرح له كتابه (أنوار السعادة في علوم الكلام)، وحاول ذلك جلال الدين، لكنه أحجم عن الخوض في هذا العلم، فاعتذر من شيخه، وقيمة هذا الخبر أنه يدل على انصرافه عن علوم المعقول، هذا الانصراف الذي لم يلبث أن تحول إلى عداء من غير ما سبب مقنع، وكانت ثمرته أن ألف كتابه (صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام"(34)، وكأني بالعلوم النقلية من حديث وفقه وما إليها قد استغرقت السيوطي كلياً، فلم يتقبل ذهنه ذلك الضرب من العلوم العقلية، كالمنطق وعلم الكلام، مع أن كبار الشافعية ممن يعدهم السيوطي، وبهم يأتسي، كانوا من علماء الكلام والمنطق إلى جانب الفقه وأصوله. ولا يذهبن بنا الظن إلى أن السيوطي تفرغ للتلقي من شيخه الكافِيَجي، لقد كان يطلب العلم موزعاً في كل اتجاه، ويقرأ في علم الميقات والطب، ويلازم الشمنّي(35) ويقرأ عليه الحديث والعربية والمعاني، كما أنه صنف شرحاً لألفية ابن مالك قرّظه له شيخه، واستمر ملازماً شيخه الشمنّي إلى وفاته عام (872هـ)، ورثاه بأربع قصائد(36).

ولما كانت الرحلة ولقاء العلماء والرواية عنهم من الأمور الحميدة عند السلف والخلف، وفيها يجيز العلماء بعضهم بعضاً، فقد قرّ عزم السيوطي على الرحلة، واتجه إلى مكة المكرمة عام (869هـ) لأداء فريضة الحج، وألف كتاب (النحلة الزكية في الرحلة المكية)، وبعد عودته قام برحلة إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما، وصنف كتابه (قطف الزهر في رحلة شهر)، وجلال الدين لا يهتم بما يهتم به الرحالة عادة، ولا يذكر مشاهداته ولا يسجل انطباعاته، فالرحلة عنده كلها سماع وقراءة ورواية وإجازة، وقد مدحه بعض من لقيهم في هذه الرحلة، وشبهه أحدهم بالشيخ محيي الدين النووي(37)، وبابن الصلاح الشهرزوري(38)، وروى السيوطي الأبيات في سيرته معجباً بها(39)، فرحاً بتشبيهه بهذين العَلَمين.

وعاد جلال الدين إلى القاهرة، ونصب نفسه للتدريس في شوال عام 870هـ(40)، ويقول: إن الفضلاء قد توافدوا عليه وقرؤوا تصانيفه، ومنهم من لزمه عشر سنوات، وأقام بالقاهرة حتى وفاته، ولم تكن له رحلة إلى غير ما ذكرنا، أي رحلة الحج ثم رحلة دمياط والإسكندرية، ولا صحة لما أولع الدارسون المحدثون بذكره من رحلات إلى الشام والمغرب والتكرور، وليس لهم من دليل سوى عبارة تصفحت قراءتها وعُرّفت على يد محقق حسن المحاضرة، فكانت سبب شيوع وهم كبير، لا أدري متى سينقطع الدارسون عن ترديده(41).

ومن بداية انصرافه للتدريس شرعت نفسه تحدثه أن يجدد أموراً يبرّز بها على معاصريه ويبدد بها أقرانه، فماذا يفعل وهم يعملون جميعاً في مجال واحد يطرقون موضوعات متشابهات؟ ولم يلبث أن اكتشف درباً للامتياز والتفرد، فعقد مجلساً لإملاء الحديث، وكانت مجالس الإملاء(42) قد انقطعت منذ عشرين سنة، فبدأ السيوطي إملاء الحديث عام (872هـ)، ثم انقطع بسبب الطاعون، وجدد الإملاء عام(874هـ) وأملى ثلاثين مجلساً ثم انقطع، وفي هذه المرحلة كان يفتي، وبدءاً من عام (871هـ)، وستتراكم هذه الفتاوى ليجمعها بعد ذلك في مجلدات ثلاثة.

لم أرد الحديث عن مؤلفات الرجل، ولكن ما من ذلك بدّ، لأني أمام رجل تكوّن مؤلفاته نسيج حياته، وبها كان يحاول إثبات وجوده وإبراز اسمه، وإلا فبِم نفسّر عقده لمجلس إملاء الحديث سوى أنه كان يريد أن يتشبه بابن عساكر(44)، وظن الأمر سهلاً ميسراً، فعقد المجالس وتصدرها، لكن هذه المجالس لم تلبث أن انقطعت، وأظن أن السيوطي والناس الذين حضروا، شعروا بعدم جدوى تلك المجالس التي انتهى أوانها بعد أن كانوا أقبلوا عليها تقليداً للسلف الصالح، كما أني لا أستبعد أن يكون كلام السخاوي صحيحاً في هذا المجال، فقد زعم أن جلال الدين جمع حوله طائفة من العوام بجامع ابن طولون، وأنه صار يملي على بعضهم ممن لا يحسن شيئاً(45)، فإن صح هذا، فإنه لابد قد زهد جلال الدين بمثل هؤلاء المستملين.

وإذا كانت شخصية أبيه قد ملأت نفسه في البدايات، فإنه لم يلبث أن حدد على نحو واع المثَل

الذي يرنو إليه ويعوّل عليه، فقد كانت أمنيته أن يصل إلى رتبة سراج الدين البُلْقيني(46) في الفقه، وأن يصل في الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر، فبالغ في قراءة هذين الفنين والاشتغال بهما، وعندما ذهب للحج شرب ماء زمزم مستعيناً به لأمور منها أن يصل ببركة هذا الماء إلى رتبة هذين العلمين في الفقه والحديث(47).

وأخذ السيوطي يصدر الفتاوى، يخالف بها الآخرين، حتى أنه خالف فتوى لوالده، ليثبت أنه مجتهد ومنصف(48)، وأخذت الأمور تسوء بينه وبين بعض علماء عصره، الذين ساءهم كِبره واستصغاره لهم، فكانت الواقعة بينه وبين ابن الكركي(49)، وبينه وبين الجوجري(50)، وغيرهم.

وكانت ذات جلال الدين تتضخم مع الزمن، فلم يبق الأمر عنده مجرد اعتزاز بوالد ينتمي إلى العلم، أو كان إماماً للخليفة، وإنما أصبح ينظر إلى الحكام المماليك على أنهم غرباء، وإلى العلماء، وهو على رأسهم، أنهم هم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم، وتحدث السيوطي على تأبّيه على السلطان وعن رده رسله، ويؤكد هذا ما حدّث به تلميذه عبد القادر الشاذلي(51)، أنه كان في جامع طولون عندما أتى إليه نقيب الجيش يونس الطويل، وخاطبه على لسان الملك الأشرف قانصوه(52) بسبب شكوى أهل البيبرسية(53) فيه، وقال له: كلّم السلطان، فقال الشيخ في الجواب، وهو متكئ بذراعه الأيمن على وسادته، وهو في غاية الرياضة، لم يتحرك ولم يختلج: مالي وللسلطان، إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى عندي، فقال له نقيب الجيش ثانياً من باب الإغلاظ عليه: أجب ولي الأمر، فقال الشيخ: اسكت وإلا إنني أفتي بكفرك وضرب عنقك... من هم أولو الأمر، أولو الأمر العلماء... مثلك يخاطبني بهذا الكلام(54)؟!

اعتزل السيوطي المناصب، وتفرغ كلياً للتصنيف بعد هذه الحادثة، وكانت نفسه قد امتلأت إحساساً بأنه سيكون مجدد القرن التاسع، وأنه سيجدد للناس أمر دينهم، وكان قلمه يلهج بهذا بين حين وآخر، وفكرة مجدد القرن تستند إلى حديث نبوي، فحواه أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة بمجدد، يجدد لها أمر دينها، وهذا المجدد يجب أن يكون مجتهداً، فكان من البديهي أن يبدأ السيوطي بدعوى الاجتهاد، وهو ادعاء ليس بالسهل في تلك العصور الراكدة المتكورة على نفسها، اجتماعياً وسياسياً ودينياً، ومن ادعى الاجتهاد عليه أن يملك أدواته ويظهر معالمه، فكيف تم للسيوطي ادعاء الاجتهاد، وهل سلم له ذلك؟

في عام (888هـ) كان للسيوطي جدال مع الشيخ الجوجري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم المولود سنة (821هـ)، وانحرف الجدال، وتحول إلى شجار أو ما يشبه الشجار، وشرع العالمان الجوجري والسيوطي يطعن أحدهما في الآخر، فلما استهل عام (889هـ) والأقوال في السيوطي تكثر، والضجة حوله تكبر، أثار خصوم السيوطي دعوى الاجتهاد، ودعوه إلى المناظرة، فرفض بحجة أنه مجتهد وهم مقلدون، والمجتهد لا يناظر إلا مجتهداً(55)، فاشتدت الثائرة عليه، حتى قدم

الشيخ عبد القادر الطحطوطي(56) وسعى بالصلح.

لم يكن جلال الدين حتى ذلك الحين قد أعلن ادعاءه الاجتهاد، وإنما كان يذكره في ثنايا بعض رسائله وكتبه، فلما أشهر خصومه هذا الأمر عدّ ذلك نعمة من الله ينبغي التحدث بها، ورفع عقيرته بدعوى الاجتهاد في مواضع من كتبه، وبدعوى التفرد في مقدمات كتب أخر، وحدد تفرده وسَبْقه في سبعة علوم تبحر فيها، وهي: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع، وزعم أنه وصل في هذه العلوم– سوى الفقه– إلى مرتبة لم يصل إليها أحد من أشياخه(57). أما كيف حدد السيوطي ذلك، وكيف قاس مستواه ومستوى شيوخه، وبأي معيار حدد تفوقه عليهم؟ فالله وحده أعلم. ولكن يبدو لي أنه كان ينظر إلى كتبه التي يصنفها أو يسلخها، فيراها أكثر من كتب شيوخه. ولا أظن أن له مقياساً غير هذا، ولا نملك مجادلته فيما ادعاه، ولم يقتصر ادعاء التبحّر والإتقان على تلك السبعة، وإنما هناك علوم أخر إتقانه لها أقل، كأصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الفرائض والإنشاء والترسل(58)،... الخ، وزعم لنفسه أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية، وقلَّ أن تجتمع –كما يقول– صفة الاجتهاد المطلق في هذه الثلاثة لأحد(59). ويرى أن هناك من العلماء من وصف بالاجتهاد المطلق ولم يبلغ مرتبته في تلك العلوم التي اجتمع له الإتقان فيها، فهو يرى أن أولئك المجتهدين، كأبي إسحاق الشيرازي(60)، وأبي نصر بن الصباغ)61)، وإمام الحرمين(62)، وأبي حامد الغزالي(63)، كانوا دونه في اجتماع آلة الاجتهاد لهم، ومع ذلك وسموا بالاجتهاد، فلم لا يكون مجتهد عصره وقد تجاوزهم؟

وتسلطت فكرة الاجتهاد والتفرد على ذهن السيوطي، ونبتت منها فكرة المبعوثية، وهي أمنية طالما رددها وجهر بها في مواضع كثيرة، وتمنى أن يكون هو المبعوث على رأس المائة، ليجدد للناس أمر دينهم، واحتج بما رواه أبو داود في سننه، والحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)(64)، وراح يعدد مجددي المئات، فكان أولهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز(65) في رأس المائة الأولى، والإمام محمد بن إدريس الشافعي(66) في رأس المائة الثانية، وأبو العباس بن سُريج(67) في الثالثة، وأبو حامد الإسفراييني(68) أو الأستاذ أبو سهل الصعلوكي(69) في الرابعة، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي(70) في الخامسة والإمام فخر الدين الرازي(71) في السادسة، وتقي الدين بن دقيق العيد(72)في السابعة، وسراج الدين البُلْقِني(73) أو ناصر الدين بن بنت المليق الشاذلي(74)، أو زين الدين العراقي(75) في الثامنة، وذلك (لأن تعيين المجدد إنما هو بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه)(76)، ويعقب السيوطي على ما تقدم بقوله: (ونحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائة، ولم يجيء المهدي ولا عيسى ولا إشراط ذلك، وقد ترجى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه المجدد على رأس المائة، وما ذلك على الله بعزيز)(77)، وأخذت هذه الفكرة تتردد في كتبه، حتى أنه ألف رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، قال فيها: (إني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالي لنفسه أني

المبعوث على هذه المائة التاسعة، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم، وقد اخترعت علم أصول اللغة وورّثته ولم أسبق إليه، وهو على نمط علم الحديث وأصول الفقه، وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور، وامتدت إلى البحر المحيط، ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته)(78)، وهذا النص مفيد للاستدلال على أن الرجل أخذ يعبّر عن علوم الأمة الإسلامية بعبارة (علومي)، وكأن هذه العلوم لم تكن قبله، فكانت به، وللاستدلال أيضاً على أن الرجل أخذ ينظر إلى كثرة مصنفاته وسيرورتها على أنها هي التي تؤهله للمبعوثية، وأخذ ادعاؤه يزداد شراسة، ففي كتابه (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف)(79) يقول: (فإن ثم مَنْ ينفخ أشداقه ويدّعي مناظرتي، وينكر عليَّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد، ونفخت عليهم نفخة صاروا هباء منثوراً)(80).

ولاشك أن مثل هذه الشخصية النرجسية المتورمة ذاتياً لم تكن لتلقى من أقرانها القبول، ولم يكن معاصروها ليسلموا لها ما تدعيه، وخاصة أن عصر السيوطي كان يعج بالعلماء، ومنهم من يفوقه علماً ومعرفة، والاعتراف بالمبعوثية أمر يقرره الآخرون لا المبعوث نفسه، فما بالنا وجلال الدين يفرض مبعوثيته وكونه مجدد المائة فرضاً على أقرانه وعلى عصره، وليس له إلا ادعاء التبحر وكثرة المؤلفات، والتبحر دعوى ادعاها ولم يسلم له بها، وكثرة مؤلفاته ليست مسلمة له، لا في عصره ولا في عصرنا، وأن شكوك السخاوي لم تنشأ من فراغ، ولم تكن من عبث، وإن البحث الجاد في كثير من كتب السيوطي يؤيد شكوك السخاوي ويثبت صحتها، ويؤكد أن السيوطي كان كثير التبجح والادعاء، وسأكتفي بضرب أمثلة قليلة.

لنأخذ كتاب (الاقتراح في أصول النحو)(81)، وهو من الكتب التي تباهى بها السيوطي وادعى فيها التفرد، فماذا نجد؟ إننا نجد مقدمة طنانة، فهو يزعم أن كتابه لم تسمح قريحته بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله، في علم لم يسبقه أحد إلى ترتيبه –يعني علم أصول النحو– فإذا تركنا المقدمة إلى الكتاب فإننا لا نجد للسيوطي أثراً ولا رأياً، وإنما نجد ثمانية عشر فصلاً قد نقلها بتصريحه بذلك من "لمع الأدلة في أصول النحو" للكمال ابن الأنباري، مضافاً إليها فصول نقلها من الخصائص لابن جنّي، فأين التفرد وأين الاجتهاد وأين ترتيب هذا العلم الذي لم يسبق إليه؟

وخذ أيضاً رسالته (البيان في رياضة الصبيان ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) نجدها مأخوذة بقضّها وقضيضها من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي(82).

وخذ أيضاً كتابه (الأرج في الفرج) تجده مأخوذاً بنصه تقريباً من كتاب (الفرج بعد الشدة) لابن أبي الدنيا(83).

فلا عجب إذن أن طعن بعض معاصري السيوطي في علمه، واتهموه بسرقة كتبه من كتب غيره. قال السخاوي (واختلس حين كان يتردد إليّ مما عملته كثيراً، كالخصال الموجبة للضلال، والأسماء النبوية، والصلاة على النبي، وموت الأبناء، ومالا أحصره، بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة، التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون، فغير فيها يسيراً، وقدم وأخر، ونسبها لنفسه، وهوّل في مقدماتها، بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه، وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق، جردّه من مصنف لابن تيمية، وفيها مما اختلسه من تصانيف شيخنا –يعني ابن حجر–: لباب النقول في أسباب النزول، وعين الإصابة في معرفة الصحابة، والنكت البديعات على الموضوعات، والمدرج إلى المُدرج، وتذكرة المؤتسي بمن حدّث ونسي، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون، والأساس في مناقب بني العباس، وجزء في أسماء المدلسين، وكشف النقاب عن الألقاب، ونشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير،...، كل هذه تصانيف شيخنا، وليته إذا اختلس لم يمسخها، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع،)(84).

واتهامات السخاوي هذه ينبغي أن يُنظر إليها بتدبر وتأمل، وأن يعقبها الفحص والمقارنة، لأنه لا يرسل اتهاماته على عواهنها، فلها ما يسوغها، وقد رأينا نموذجات مما أتيح لنا فحصه وسبره، زد على ذلك جرأة السيوطي على ادعاء التأليف في موضوعات نقلية ليس له فيها شيوخ، فمن الذي قرأه القراءات وأجازه حتى يصنف شرحاً لشاطبية وألفية في القراءات العشر؟.

لقد ملأت عليه فكرة مجدد المائة أقطار قلبه وعقله، واستقر لديه أن سبيل التجديد إنما هو كثرة التصنيف، وحجبته رغبته المتأججة عن أن يرى الآخرين، بل حجبته عن أن يرى عالماً غيره في عصره، فأطلق لقلمه العنان، يجمع طائفة من الأحاديث في التراويح، فهي إذن كتاب، ويأخذ مجالس العلماء ويضم بعضها إلى بعض، فيتشكل منها نصف كتاب الأشباه والنظائر النحوية، ويأخذ كتاب المعرب للجواليقي فيختصره، فهو إذن مصنّف، وقل مثل ذلك في النهاية في غريب الحديث والأثر، ومثله في (اللباب في الأنساب) وفي غيرها.

إن مؤلفات السيوطي، حتى تلك التي يدعي فيها التفرد والإبداع، تحتاج إلى فحص وسبر وتدقيق، وأن كثيراً من كتبه المهمة يغدو تاريخي القيمة عندما تحصل أصوله بين أيدي الباحثين، ونكتفي بمثالين، الأول: الإتقان في علوم القرآن، والثاني: الاقتراح في علم أصول النحو.

إن الدراسة المعمقة نسبياً لنفسية السيوطي ومزاجه لا تكون من كتبه العلمية التي صنفها، لأنها في جملتها نقول ضمّ بعضها إلى بعض لتصبح كتاباً، والباحث يعجز أحياناً، وهو يراجع كتاباً في ألفي صفحة، أن يجد للسيوطي رأياً، أو يلمح له شخصية. إن مثل هذه الدراسة إنما يجب أن تعتمد مقاماته التي أنشأها، وظهرت فيها عداواته لأقرانه، وصرح فيها ببعض مكنونات نفسه، وظهرت

فيها طبيعة تواصله مع مجتمعه، وأن تعتمد مقدمات كتبه التي ملأها بالإدلال والادعاء، ومن طرائفه أنه قطع سلسلة كلامه في الأشباه والنظائر النحوية ليطعن أحد معاصريه(85)، وهو يعني الإمام القسطلاني(86)، متهماً إياه بسرقة كتابه الخصائص الكبرى، وهو كتاب في الخصائص النبوية، ومصادره ومراجعه مبذولة آنذاك، ولم يكن القسطلاني دون السيوطي في علم الحديث بحال، حتى يتهم مثل هذا الاتهام.

ولابد هنا –وقد أشرت إلى القسطلاني– من أن أذكر حادثة لها شأنها من الدلالة على عجرفية السيوطي وطريقته في التعامل والسلوك مع علماء عصره، فقد اتهم السيوطي القسطلاني بالأخذ من كتبه، ووصل الأمر به أن ادعى عليه السيوطي بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا(87)، وأراد القسطلاني إزالة في خاطر السيوطي عليه، فمشى إليه من القاهرة إلى الروضة، وكان الجلال معتزلاً الناس بالروضة، فوصل القسطلاني إلى باب السيوطي ودق الباب، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا القسطلاني، جئت إليك حافياً، مكشوف الرأس، ليطيب خاطرك عليّ، فقال له: قد طاب خاطري عليك، ولم يفتح له الباب ولم يقابله(88).

وهذه الحادثة بليغة الدلالة على كِبْر السيوطي وزهوه، وأن هذا لعمري ليس من صفات مجددي المئات، فإن تجديد أمور الدين ليس حبراً وورقاً وسرقة مصنفات الآخرين، وأن الاجتهاد ليس في مخالفة آراء الآخرين وفتاواهم والرد عليهم في جزئيات لا تقدم ولا تؤخر، إنه ليس في تأريث الخلاف وإنما في تأليف القلوب، والسيوطي كان بعيداً من ذلك كله، فقد كان من اليسير عليه أن يتطاول على أبناء عصره في أمور هي من التفاهة بمكان، فمن ذلك أنه سئل عام (888هـ) عن قولهم في القنوت (وإليك نسعى ونحقد)، هل هو بالدال المهملة، أو بالذال المعجمة، فكتب أنه بالدال المهملة، فشنع عليه الجاهل –حسب تعبيره– وأتباعه زاعمين أنها بالذال المعجمة، فكتب السيوطي (فانظروا بالله إلى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة، وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم، ولا يحسنون التلفظ فيها، ومع ذلك يعتمون بعمائم الفقهاء، ويمدون ألسنتهم للإنكار على أساطين العلماء)(89)، يعني نفسه، والأمر كله لا يحتاج إلى أساطين العلماء ولا إلى صغارهم، إنه قضية مبتدئين لا أكثر ولا أقل، جعل منها السيوطي ذريعة لادعاء العلم والفضل.

إن قضية مجدد المائة والمبعوثية هي المفتاح الذي تدرس من خلاله شخصية السيوطي، وبوساطتها نفسّر كثرة تصانيفه وحرصه على الإكثار منها وعلى الإدلال بعلمه، وتكثّره من الشيوخ وطعنه في علماء عصره، وكأنه يرغب في حذفهم وإلغائهم جميعاً ليخلو له في الميدان، وهذا ما أثارهم عليه، وكانت مشاحناته معهم باعثاً آخر من بواعث الإكثار من التأليف، فإذا كانت رغبته في أن يظهر فقيهاً تحدوه لأن يشرح الروضة أو المنهاج، فإن عداوته للسخاوي دفعته لتصنيف (الكاوي في تاريخ السخاوي(90)، وكذلك صنف (اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري)(91)، و(الكر على عبد البر)(93)، وغيرها.

لقد كان جلال الدين ذا حظ عظيم في حياته وبعد وفاته، وكان لمصنفاته ذيوع في العالم الإسلامي، في أيامه وحتى أيامنا، واهتم عشرات العلماء من المعاصرين بكتب السيوطي، تحقيقاً وضبطاً وشرحاً، وها نحن اليوم في ندوة حول السيوطي، ومنذ أشهر كانت هناك ندوة حوله في القاهرة، وفي دمشق صدر عدد خاص من مجلة التراث العربي حول السيوطي(93)، وأيضاً صدر عدد خاص من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عنه(94)، ولو كنا منصفين لاحتفلنا قبل تسع سنوات بمرور خمسمائة عام على وفاة السخاوي مثلاً، ولكن السيوطي رزق هذا الحظ العظيم من الاهتمام الذي لم يتح مثله للإمام الشافعي نفسه ولا لأبي حنيفة ومالك وابن حنبل، أليس هذا من العجب العجاب؟

إن ما قدمته ليس إلا جولة تحليلية في سيرة السيوطي، رمت إلى تبيان مفتاح شخصيته، تلك الشخصية التي هيّئ لها من الاستعداد الطبيعي والتربية الملائمة لتكون على ما كانت عليه، وفي مقدورنا اليوم أن ننظر إليه وإلى أقرانه بعد أن فصلت بيننا وبينهم القرون بعين العدل والإنصاف قدر المستطاع، لنعطي كل ذي حق حقه، وغير بعيد أن يكون طَعْن بعض علماء عصره فيه ليس باعثه الحسد، ولا يسقط طعنهم فيه كونهم متعاصرين، بل إن في طعنهم من الحق شيئاً، ربما كان ليس باليسير الهين..

إن كل ما ذكرته لا يلغي السيوطي، ولا يحاول الإزراء به، وإنما الهدف أن ننظر إلى السيوطي نظرة واقعية أو أقرب ما تكون إلى الواقع، وأن نقدّره حق قدره، وأن ننظر إليه كما ننظر إلى الكثيرين من أمثاله ممن نصادفهم في مجالات العلم والمعرفة في أيامنا، ولا أريد أن أذكر أسماء، وأن لا نجازف في إطلاق الألقاب عليه دون طائل، وأن لا ننكر فضله مع ذلك، فإذا كان السيوطي في معظم آثاره مصنفاً جماعة، سالخاً كتب غيره، فإنه في الوقت نفسه حفظ لنا في هذه الكتب كثيراً مما ضاع من تراثنا، أو كثيراً مما كان يصعب العثور عليه حتى وقت قريب.

ثم إن السيوطي كان شاهد عصر، فمن كتبه التاريخية، ومن التراجم التي كتبها لمعاصريه، ومن المقامات التي دبجها نستطيع أن نستشف ونعرف الكثير عن عصر السيوطي وعاداته وتقاليده وأوضاع الاجتماع والعمران فيه.

كما أن السيوطي يعدّ من كتّاب السيرة الذاتية على نحو ما(95)، صحيح أنه جعل من سيرته الذاتية سجلاً لمؤلفاته وشيوخه، إلا أن تلك السيرة وأعني بها (التحدث بنعمة الله تعد سيرة ممهة، لأنها تفصح عن نفسه ودخائلها، ولأن دارس السيرة لا يقرأ السطور، وإنما يقرأ ما وراءها، وفي ذلك (الماوراء) يجد الباحث متسعاً للقول، فهو يؤيد أو يشك أو يلمح أو... وهذا ما يمنح سيرته بُعداً

إضافياً، ولاسيما أن سيرته كتبت بقلمه، كما أن الآخرين من تلاميذه وخصومه ترجموا له، وهذا ما يجعل باب المقارنة مفتوحاً على مصراعيه: كيف رأى الرجل نفسه، وكيف رآه الآخرون، أو السيوطي في مرآة نفسه، والسيوطي في مرآة الآخرين.

ومهما يكن من أمر فإن صغائر الأمور بددتها دورة الدهر، ولم يبق من كبر السيوطي وزهوه إلا الحبر والورق، وعلاقاته مع خصومه ومحبيه غبرت فيما غبر، ولم يبق منهم إلا عملهم وآثارهم التي عم انتفاع الناس بها إلى يوم الناس هذا، ولا تزال كتب السيوطي وكتب أقرانه كالقسطلاني والسخاوي مرجعاً رحباً للعلماء وميداناً فسيحاً للباحثين، رحم الله الجميع.

*　　*　　*

*الحواشي والإحالات:

(1)انظر حسن المحاضرة 1: 335 والتحدث بنعمة الله.

(2)من ذلك ما كتبه عنه تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور 4: 83 وكتاب تلميذه عبد القادر الشاذلي (بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين) وهو قيد التحقيق إن شاء الله. وانظر أيضاً الضوء اللامع 4: 65. وشذرات الذهب 8: 51. والبدر الطالع: 328، وتاريخ النور السافر للعيدروس: 51.

(3)انظر مقدمتنا لكتاب الأشباه والنظائر النحوية، ط مجمع اللغة بدمشق 1985، ومقالتنا في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة: الإمام جلال الدين السيوطي، وفن السيرة الذاتية– المجلد 34– 1990. ومقالتنا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: الإمام جلال الدين السيوطي: سيرة مختصرة، المجلد 67، العدد 4. ومقالتنا في مجلة عالم الكتب بالرياض: فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة، مجلد 12، العدد الأول 1991.

(4)حسن المحاضرة 1/ 336.

(5)كمال الدين بن الهمام: محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد 790– 861هـ، كان علامة محققاً جدلياً نظاراً، حسن المحاضرة، 1/474.

(6)الشيخوخة: مدرسة أنشأها الأمير شيخو العمري سنة 756هـ وتعرف بجامع شيخو، الخطط التوفيقية 6/8.

(7)هو أبو بكر الخضيري السيوطي، كان من أهل العلم والمعرفة، وولي قضاء أسيوط قبل قدومه إلى القاهرة، فلما قدمها أخذ عن علمائها وقرأ عليهم، وبلغ في صناعة التوقيع النهاية، انظر ترجمته في: حسن المحاضرة 1/441، ونظم العقيان 65.

(8)سليمان بن المتوكل المستكفي بالله، ترجم له السيوطي في تاريخ الخلفاء، 511 وما بعدها، وقال فيه: وما أظن أنه وجد على ظهر الأرض خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة، ولي الخلافة عام 845هـ، وتوفي عام 854هـ.

(9)انظر نسخة العهد في تاريخ الخلفاء للسيوطي 511.

(10)انظر ما كتبه عنهم في تاريخ الخلفاء 477 وحسن المحاضرة 2: 52 وما بعدها وخاصة ص94.

(11)في حسن المحاضرة 1/337 أنه ألف عام 866 شرحاً للاستعاذة والبسملة.

(12)هناك عدة كتب بهذا العنوان، أحدها في الفروع لابن قدامة الحنبلي 660هـ، والثاني في الحديث لابن دقيق العيد ت 702هـ، وأظنه يريد هذا الأخير، انظر كشف الظنون 2/1164.

(13)منهاج النووي هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الفقه الشافعي للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت 676هـ، انظر كشف الظنون 2/1873.

(14)ألفية ابن مالك هي الخلاصة الألفية التي اختصرها في ألف بيت من مطولته الكافية الشافية. وابن مالك هو أبو عبد الله بن عبد الله، ولد بجيان بالأندلس، وتوفي بدمشق عام 672هـ، بغية الوعاة 1/130. وكتاباه المشار إليهما منشوران.

(15)منهاج البيضاوي هو منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت 385هـ، كشف الظنون 2/1878.

(16)علم الدين البلقيني صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين 791- 868هـ، حامل لواء مذهب الشافعية، وله مصنفات، وتولى القضاء الأكبر عام 826هـ، انظر حسن المحاضرة 1/444، وشذرات الذهب 7/307.

(17)شرف الدين المناوي يحيى بن محمد 798- 871هـ، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، وله تصانيف، حسن المحاضرة 1/445، وشذرات الذهب 7/312.

(18)عز الدين الحنبلي: أحمد بن إبراهيم بن نصر الله، قاضي القضاة 876-800هـ، انظر حسن المحاضرة 1/484.

(19)الأقصرائي أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم 795- 880هـ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره، نظم العقيان 178، وحسن المحاضرة 1/478.

(20)شمس الدين محمد بن موسى، إمام الشيخونية، ورد ذكره في التحدث بنعمة الله 68، 237.

(21)حسن المحاضرة 1/337.

(22)بهجة العابدين، ص 18– 19، نسخة جستر بيتي، وفيه: واستمررت بعد ذلك– بعد الإجازة– ملازماً لدروس شيخنا شيخ الإسلام (شرف الدين)، فلم أنفك إلى أن مات، وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر، هكذا ثلاث أيام في الجمعة: السبت والاثنين والخميس. وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي.

(23)سبقت الإشارة إليها، ونضيف أنها نشرت بشرح ابن مالك وتحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي بجامعة أم القرى سنة 1982.

(24)بهجة العابدين، ص17، مخطوط جستر بيتي.

(25)المرجع السابق، ص18.

(26)الشافعي محمد بن إدريس 150– 204هـ، أحد الأئمة الأربعة، إليه نسبة الشافعي كافة، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر عام 199هـ، وأقام بها حتى وفاته. انظر طبقات الشافعية 1/185.

(27)كتاب الرسالة للشافعي، وهو أول كتاب ألف في أصول الفقه، قال الشيخ أحمد محمد شاكر: بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث أيضاً. انظر الرسالة، المقدمة 13.

(28)التحدث بنعمة الله 241.

(29)سبقت ترجمته في الحاشية 17.

(30)سيف الدين الحنفي محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكمتري 800– 881هـ، انظر حسن المحاضرة 1/478، وبغية الوعاة 1/231، وشذرات الذهب 7/332.

(31)الكافيجي: محمد بن سليمان، قال عنه السيوطي: أستاذ الدنيا في المعقولات، ولد قبل سنة 800هـ، وتوفي عام 879هـ. حسن المحاضرة 1/549.

(32)التحدث بنعمة الله 244.

(33) الفخر المقسي: عثمان بن عبد الله، من فقهاء الشافعية، ورد ذكره في عدة مواضع في كتاب التحدث بنعمة الله: 10، 91، 184، 185، 239، 244.

(34) صون المنطق والكلام، طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة 1947 بعناية علي سامي النشار، وأعاد نشره سنة 1970 في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

(35) الشمني: تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري، 801- 872هـ. حسن المحاضر 1/474، وبغية الوعاة 1/377.

(36) انظر التحدث بنعمة الله 43، وبهجة العابدين 22.

(37) النووي: سبق ذكره في الحاشية 13.

(38)الشهرزوري: ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن 577- 643هـ، توفي بدمشق، أحد الفضلاء المقدمين في الفقه والتفسير والحديث، وهو صاحب كتاب (معرفة أنواع الحديث) المعروف بمقدمة ابن الصلاح.

(39)الأبيات المشار إليها هي للشيخ شمس الدين محمد بن علي العطائي الذي سمع السيوطي وكتب عنه ثم مدحه بقوله:

أرى شباباً ما أرى مثله ... في العلم والدين معاً والصلاح
تبسَّم (الثغر) به ضاحكاً ... وافترَّ عن درٍّ وشهدٍ وراح
شبهته لمَّا بدا مقبلاً ... بالشيخ محيي الدين وابن الصلاح

انظر التحدث بنعمة الله 84.

(40)التحدث بنعمة الله 88.

(41)معظم الذين ترجموا له من المعاصرين وقعوا في هذا الوهم، ولا يزالون كذلك، انظر على

سبيل المثال: المزهر 2/657، الاقتراح ص83 بتحقيق الدكتور محمود فجال، معترك الأقران 1/ز، ومقال عبد اللطيف أرناؤوط في مجلة التراث العربي بدمشق، العدد 51، ص 54- 55، وغير هؤلاء كثير.

(42)وكان ذلك بالجامع الطولوني، وهو جامع كان بناه أحمد بن طولون، بدأ بناءه عام 263هـ، وفرغ منه عام 265، وانظر خطط المقريزي 3/142، وحسن المحاضرة 2/246، والتحدث بنعمة الله 88.

(43)ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، محدث الديار الشامية، ومصنف تاريخ دمشق، 49- 571هـ، انظر طبقات الشافعية الكبرى 4/273.

(44)ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي 773- 852هـ، مولده ووفاته بالقاهرة، كان حافظ الإسلام في عصره. البدر الطالع: 1/79، نظم العقيان 45.

(45)الضوء اللامع 4/66، والشيخ شمس الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمن، ولد عام 831، وتوفي عام 902هـ، وترجمته في تاريخ النور السافر 18.

(46)سراج الدين البلقيني: عمر بن رسلان 742- 805هـ، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، ولد في بلقينة بمصر وتعلم بالقاهرة، ولي قضاء الشام سنة 769هـ وتوفي بالقاهرة.

(47)بهجة العابدين 23.

(48)التحدث بنعمة الله 20 وما بعدها.

(49)إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي الأصل، القاهري المولد، ولد سنة 835 وتوفي 922هـ، تاريخ النور السافر 101.

(50)الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم 821- 889هـ، من فقهاء الشافعية بمصر، الضوء اللامع 8/123، البدر الطالع 2/200، وانظر مقامات السيوطي 1/391.

(51)عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي، تلميذ السيوطي، ومصنف كتاب (بهجة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين، توفي بعد سنة 945هـ، ففي كتابه بهجة العابدين ص91، نسخة جستر بيتي) ذكر حادثة وقعت سنة 946، وهذا أصح مما ذكره الزركلي في الأعلام 4/43 من أن وفاته

كانت عام 935.

(52)قانصوه السلطان الغوري بن عبد الله الجركسي، بويع بالسلطة بقلعة الجبل بالقاهرة سنة 905هـ، هزم أمام السلطان سليم العثماني وقتل في مرج دابق قرب حلب سنة 922هـ، انظر در الحبب –جـ 2، ق 1/45 برقم 381، والبدر الطالع 2/54، وشذرات الذهب 8/113، والأعلام 5/187.

(53)البيبرسية: بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس قبل أن يلي السلطنة سنة 706هـ، انظر خطط المقريزي 3/404، وحسن المحاضرة 2/265، والخطط التوفيقية 4/98.

(54)الخبر في بهجة العابدين 61– 62.

(55)التحدث بنعمة الله 193.

(56)التحدث بنعمة الله 194.

(57)المرجع السابق 203 وما بعدها.

(58)المرجع السابق 203 وما بعدها.

(59)المرجع السابق 203 وما بعدها.

(60)أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي العلامة، المناظر 393– 476هـ، انظر طبقات الشافعية الكبرى 3/88، ومقدمة الدكتور إحسان عباس لكتاب الشيرازي –طبقات فقهاء الشافعية.

(61)أبو نصر بن الصباغ: عبد السيد بن محمد 400– 477هـ. طبقات الشافعية الكبرى 3/230، ونكت الهيمان 193.

(62)إمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي 419– 478هـ، طبقات الشافعية الكبرى 3/299.

(63)الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، حجة الإسلام 450– 505هـ، طبقات الشافعية الكبرى، 4/101.

(64)ذكر السيوطي في الجامع الصغير 1/125 أن هذا الحديث حديث صحيح.

(65)عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين، من خلفاء بني أمية 61- 101، بويع بالخلافة سنة 99هـ، انظر تهذيب التهذيب 7/475، وتاريخ الخلفاء 228.

(66)سبق ذكره في الحاشية 26.

(67)أبو العباس بن سريج: أحمد بن عمر 249- 306هـ، فقيه الشافعية في عصره، طبقات الشافعية الكبرى 2/87.

(68)أبو حامد الاسفراييني: أحمد بن محمد 344- 406هـ، طبقات الشافعية الكبرى 3/24.

(69)الصعلوكي سهل بن محمد بن سليمان ت 387. الأعلام 3/143.

(70)أبو حامد الغزالي، انظر الحاشية 63.

(71)فخر الدين الرازي: محمد بن عمر 544- 606هـ صاحب التفسير، طبقات الشافعية الكبرى 5/33.

(72)ابن دقيق العيد: محمد بن علي 625- 702، الأعلام 6/283.

(73)سراج الدين سبق ذكره في الحاشية 46.

(74)ناصر الدين بن الميلق قاضي القضاة محمد بن عبد الدائم 731- 797هـ، حسن المحاضرة 1/527.

(75)زين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي 725- 806هـ، توفي بالقاهرة. الضوء اللامع 4/171.

(76)التحدث بنعمة الله 225.

(77)المرجع السابق 227.

(78)عن مقدمة نظم العقيان التي كتبها الدكتور فيليب حتيّ.

(79)المرجع السابق.

(80)المرجع السابق.

(81)الاقتراح في أصول النحو وجدله، طبع في الهند مرتين 1310هـ و 1359هـ، ونشر بحلب مصوراً عن طبعة الهند، ثم نشر في القاهرة بتحقيق أحمد محمد محمد قاسم 1396هـ، وفي كلية الآداب باستانبول بتحقيق أحمد صبحي فرات، ثم نشر بتحقيق الدكتور محمود فجال في السعودية، وصدر عن طبعة الثغر 1409هـ، ونشر الدكتور فجال أيضاً: الإصباح في شرح الاقتراح من تأليفه بدار القلم بدمشق 1409هـ.

(82)لمع الأدلة. حققه الأستاذ سعيد الأفغاني ونشرته الجامعة السورية بدمشق 1957 مع كتاب الأغراب في جدل الأعراب.

(83)انظر مقال الدكتور عدنان درويش (اتهام الجلال السيوطي) في مجلة التراث العربي- العدد 51- 1993، ص 90 وما بعدها.

(84)تبين لنا هذا من مقارنة مخطوط كتاب السيوطي بكتاب ابن أبي الدنيا المطبوع بدار البشائر بدمشق 1992 بتحقيق ياسين محمد السواس، وابن أبي الدنيا هو الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي 208- 281هـ.

(85)الضوء اللامع 4/65 وما بعدها.

(86)الأشباه والنظائر النحوية 1/655 باب الفروع هي المحتاجة إلى العلامات، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقي مع زملائي 1985- 1987.

(87)القسطلاني أحمد بن محمد 851- 923هـ، توفي بالقاهرة، انظر تاريخ النور السافر 106.

(88)هو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري 824- 925هـ، انظر ترجمته في نظم العقيان 113، وتاريخ النور السافر 111، والحادثة المشار إليها في تاريخ النور السافر 107.

(89)تاريخ النور السافر 107.

(90)التحدث بنعمة الله 181.

(91)انظر مقامات السيوطي: مقامة الكاوي في تاريخ السخاوي 2/933.

(92) التحدث بنعمة الله 125، 193، 195، 196، 198.

(93) التحدث بنعمة الله 125، 199.

(94)التراث العربي –العدد 51، شوال 1413، نيسان 1993، دمشق.

(95)مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 67، العدد الرابع 1992.

(96)انظر بحثنا المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد 34، عام 1990، بعنوان (السيوطي وفن السيرة الذاتية).

* * *

*مراجع البحث:

-الأرج في الفرج، جلال الدين السيوطي، مخطوط الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع).

-الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي، تح: عبد الإله نبهان ورفاقه، ط مجمع اللغة العربية بدمشق 1985.

-الأعلام، خير الدين الزركلي، ط4، بيروت.

-الاقتراح في أصول النحو، تح: د.أحمد محمد قاسم، القاهرة 1976.

-البدر الطالع، الإمام محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة 1348هـ، القاهرة.

-بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة.

-بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين، عبد القادر الشاذلي، مصورة عن مخطوطة جستر بيتي.

-تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1969، ط4.

-تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محيي الدين عبد القادر العيدروسي، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

-التحدث بنعمة الله، جلال الدين السيوطي، تح: اليزابيث ماري سارتين، القاهرة 1972.

-التراث العربي (مجلة)، العدد 51، نيسان 1993.

-تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.

-جلال الدين السيوطي، بحوث ألقيت في ندوة القاهرة 1976، الهيئة المصرية للكتاب 1978.

-حسن المحاضرة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة 1967.

-خطط المقريزي، المقريزي، كتاب التحرير، القاهرة.

-الرسالة، الإمام الشافعي، تح: أحمد محمد شاكر، القاهرة 1940.

-شرح مقامات جلال الدين السيوطي، تح: سمير محمود الدروبي، مؤسسة الرسالة 1989، بيروت.

-شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، نشر القدسي، القاهرة 1351.

-الضوء اللامع، السخاوي، منشورات مكتبة الحياة، لبنان.

-طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، الحسينية بالقاهرة 1324هـ.

-طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي، تح: د.إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1981.

-عالم الكتب، مجلة، المجلد 12، العدد الأول 1991، الرياض.

-الفرج بعد الشدة، ابن أبي الدنيا، تح: ياسين محمد السواس، دار البشائر، دمشق 1992.

-كشف الظنون، حاجي خليفة، طبعة مصورة في مكتبة المثنى ببغداد.

-لمع الأدلة في أصول النحو، ابن الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، الجامعة السورية 1957، دمشق.

-مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 67، العدد الرابع 1992.

-مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد 34- 1990.

-نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين السيوطي، تح: د.فيليب حتيّ، نيويورك 1927.

-نكت الهيمان، صلاح الدين الصفدي، بعناية أحمد زكي، المطبعة الجمالية بمصر، 1329هـ-

1911م.